

الموت على مهل

الاجرة لنقله الى المحط ..

آن له اخيرا ان يفر الى بعيد .. يبدأ هناك من جديد .. يرتاح من مطارديه .. ليس أشق على نفسه من السفر .. لكنه البديل الوحيد لما يتحشمه هنا .. كلاب الصيد تتبعه اينما حل وحيثما استكن .. وليس هذا اسوأ ما في الحكاية ، فالوالم انها تراه ولا يراها .. يكاد يظن انها بمستطاعة ان تتسلل الى مسارب دمه ودروب جسده دون ان يقدر على الحراك او ينتوي المقاومة ...

راح يجدهم في كل ركن .. يباغثونه في الاماكن المظلمة ... يمثلمهم في وجوه القوادين .. تحت الاسرة في علب الليل ، كثيرا وفي اثناء ممارسة اللذة .. وفي عنفوان المداعبات .. ينتفض .. يخلص نفسه من احضان رفيقته .. يهب يحدق تحت المرقد يبحث عنهم .. يعود مغموما وقد هبط شوقه وتضاءلت رغبته .. ويعاود استنفار غريزته المجهضة في غيظ وغل ..

في اثناء اغفائه .. يتسللون الى احلامه يئدونها ثم يختفون ويتركون نفرة تنفذ منها الكوابيس بسهولة .. اذا فكر في التريض سيرا على الاقدام .. وعندما يستبدل ملابسه .. يتحسس جيوبه .. يجد رقع الورق المشثوم مطبوعا عليها : لا تخرج الليلة فالشر يستطير .. حين يريد ان ينتقي قميصا معيناً .. يسطرون له :

لا تفعل هذا .. اباك وارتهاءه ..

تبرز له الوريقات من تحت وسادته او على البساط بغير انذار .. الكلمات التي يحلل السواد احرفها توقظ ريبته .. اما جهله بالطريقة التي تصله بها فيؤجج مواجهه .. قد يطاوعهم وقد يصمم على الماضي في قراره .. يهتفون في عقله بالفاظهم فتدوي في اعماقه .. احيانا ينهزم امامهم مباشرة .. مرات اخرى يستمر معاندا بمعنون هم الآخرين .. يتشبث متابعا .. يصرخون من اعماق اعماقه في وعيد .. وفي تلك المرات التي لا يلتفت الى ما يقولون ولا يوليهم

- ١ -

منذ ساعة أمر الخادم ان يعد له حقيبته ، وحتى الان لم يكن انتهى من مهمته بعد ... أخذ يتسلى بترتيب بعض الصفحات امامه .. من حين لآخر يعلو صوته ليستنهض همة خادمه : - هل فرغت ؟ ويجيبه بانه فرغ او كاد .. لا بد ان يلحق بقطار هذا المساء الى هناك .. فقد انهي كل ارتباطاته هنا ونوى الرحيل ..

- ٢ -

استفزته الحقيبة الفارغة .. الرجل يتناوم من احد الاركان .. صفوف الكتب في مكانها .. اكوام الثياب بعضها لم يمس بعد .. البعض الآخر متناثر في فوضى في شتى الانحاء .. انه يحتاج لوقت ليس بالقصير لحزم حاجياته .. بدأ يفهم الخطابات التي تصله يوما بعد يوم ... تحكي له ادق اسراره . تهز .. طمأنينته .. تروي اتفه تفصيلات حياته اليومية :

« اظطرت بالامس زيتونا .. اليس كذلك ؟ ! »

« انك لا تأكل لحما بالقدر الكافي .. »

« لا تترك مذكراتك في درج مفتوح .. احكم الفلق

عليها »

كلما زادت درجة تفاهة سطور الرسالة ، يزداد

خوفه ..

لا بد ان هذا البليد يتأمر معهم .. فمن يعرف

هذه الامور غيره ؟

ولكن ها هو يزعم السفر ويترك خلفه متاعبه ..

- ٣ -

اتخذ مكانه على الطريق العام ، متكئا على جدار الكشك المتداعي .. عليه ان يستوقف احدي عربات

اهتماما .. كان يجد نفسه في النهاية وقد غاضت
منعته وشحبت .. لا يردعهم عن غيهم وازع حتى يثقوا
انهم افقدوه هدفه وطلبته ..

- ٤ -

عربة الاجرة يئن محركها ..

... في العطلات كانت البطاقات تزداد عددا ..
توميء له انسي اتجه بصره .. تنتشر اينما ذهب ..
يجمع البطاقات .. يحاول ان يوفق بينها ليصل
الى الحقيقة .. او يرتبها ليثب الى صيغة ما ..
دائما يتهاوى مجهدا والنتيجة في غير صالحه .. وفي
النهاية يجد انه قضى جل وقته في لعبة خاسرة ..
ويطير يوم العطلة .. في الايام الاخرى حين يذهب
للمعمل .. رقع الورق تظهر ايضا ولكن له وحده ..
ويبعثر الساعات في جمعها .. والآخرى لا يرون ما
يرى .. يتهامون .. ينظرون اليه في عجب ..
مرة اظلمهم على واحدة .. ادعوا عدم القدرة على
ابصارها .. مع ان لهم عيون الحدا .. وكاد ان ينتهي
الى المصح لولا اقلعه عن اخبارهم باي شيء
وبعدها ..

في الفترات الاخيرة اضطر ان يحتال بوسيلة او
باخرى ليلتقطها دون ان يلمحوه ..
من قبل اقسام الايتناولها .. اراد ان يفى بكلمته
وجرب .. كل مرة يمز شعاع بصره على احداها ، تنهار
ارادته .. يتخمر من عقله كل شيء .. لا يعود يذكر
الا ان يحصل عليها .. مرات اخرى تعهد لنفسه الا
يقراها .. يكفي ان يجمعها ثم يمزقها ما دام لا يستطيع
ان يتجاهلها .. يكور الرقعة .. وحين يهيم بالتخلص منها
ينبعث من داخله صوت :

ماذا يضير لو قرأتها ؟ لم لا تصدق تحذيراتهم ؟
ويقرأها .. فتتهول نحوه المخاوف من مختلف المناحي ..
.. هربت عيناه الى الخارج .. خامره الظن ان
العربة سارت اكثر مما ينبغي .. لا بد ان يصل الى
المحط الآن او قبل دقائق . العربة تسلك طريقا غير
الطريق المألوف .. ايقن انه ليس على الطريق
الصحيح ..:

- لقد اخطأت الطريق .

- اعتقد ان موقفنا سليم .

- ابدأ .. عد الى عكس الاتجاه .

- قد نصل من هنا ايضا .

زمنجر :

- وانا قد يفوتني قطار المساء .. عد !

ايتمتع السائق ذلك .. هل يكون احدهم ..
اشترك معهم .. ولم لا ؟ فالجميع يتألمون عليه .. الكل

هنا ضد واحد .. هل ينجحون في اعاقته .. فهم
لن يدعوه يفر منهم هكذا .. لم لا ينتصر لنفسه عليهم .
انه فرذ وهم المدينة بأسرها .. ايكسب الواحد الكل ؟
.. هم كل شيء .. هو يتيقن من وجودهم .. ولا يتأكد
بالضبط من هم .. أين .. لماذا يضيقون عليه الخناق ؟
انه يموت على مهل ..

هم على المقاعد المجاورة في دور العرض .. في
ثياب الخدم في المطاعم .. ينثون في المراحيض العامة
.. يعدون عليه الحركات ويحصون السكنات .. يتخفون
في هيئة الشحاذين .. يحلقون فيه ... يعمشون
بتقارير منتظمة عنه ..

.. يراهم في حوانيت القضايين والبقالين ..
يتظاهرون بأنهم يتتبعون او يدعون انهم يبيعون .. في
الكواء الذي يتعامل معه .. كم فاجأه يسترق السمع
خلف المدخل قبل ان يطرقه ..
في بعض باعة الجرائد الصباحية .. وكل باعة
الصحف المسائية ..

في ملابس جامعي القمامة حين يأتون فسي
الصباح .. يتكلمون داخل صفائح القمامة وعرباتها ..
يتبادلون عنه الاسرار والاخبار ..

يزاحمونه في المتاجر العامة .. يجتكون به ..
يستدرجونه للمراك في الازقة الجانبية .. ينفردون به
.. يباشرونه واحدا اثر الاخر .. اذا فرغوا بدأوا
يكلمون له أقذع السباب .. يفادرونه .. اذا التقى
بهم بعد ذلك لا يبدو عليهم انهم عرفوه قبلا ..

.. هم في الطرق .. خلف الاحجار .. يختبئون
وراء جذوع الاشجار على الجانبين في الظلام .. يشيرون
لبعضهم البعض .. يتهامون عليه اذا اقبل ..
يتأمرون عليه في خفوت لو مضى ..

يلاقونه في المواخير التي اعتاد ولوجها ..
يرشون المومسات ليسهلن لهم الدخول والخروج
لمراقبته .. يشاركونه منضدته .. يزدردون طعامه ..
يقاسمونه الكؤوس .. ومتى حسان وقت الاياب ،
يتبخرون من حوله واحدا تلو الاخر .. ويجبرونه على
دفع النفقات .. وكل ليلة تختفي وجوه البارحة وتتجدد
الوجوه بلا نهاية ..

- ٥ -

مؤخرة القاطرة على البعد .. ايقاع خطواته على
الدعامات الخشبية للقضبان .. ثقل الحقيقة يبطيء من
سرعته .. عليه ان يفعل شيئا .. العربة الاخيرة تكاد
تختفي تماما .. الصغير يأتيه واهنا .. ترك اصابعه
تتراخي .. سقطت الحقيقة ..
.. اتسعت خطاه .. تلاحقت .. انطلق يعدو ..